المقالة الثانية

" فلسفة إسرائيل الجديدة وموقعها في منطقة الشرق الأوسط "

تحت هذا العنوان كتب المؤلف -رحمه الله- « نحن لا نريد سوى أن نفهم ما يجري حولنا . تعود كيسنجر أن يقول : حصافة رجل الدولة الحقيقي هو أن يسير في اطار أساسه صحة توقعاته ، ونحن قد مضى علينا وقت لم نقتصر فيه على عدم القدرة على التوقع، بل واضحينا نتهرب من رؤية الواقع، بل وتصل في بعض الأحيان إلى الكذب على أنفسنا والتضليل في حقيقة ذلك الواقع . نريد الحقيقة كما هي دون أي مغالطة ودون تغليف الحقيقة بما يجردها من مضمونها الواقعي .

ماذا يحدث في إسرائيل وإلى أين تسير القيادة الاسرائيلية ؟

يخرج علينا من آن لآخر من يشوه الحقيقة يحدثنا عن تطور في إسرائيل وعن قوى سياسية تتعاطف مع قضيتنا وعن تجاوب في بعض الدوائر، . فما هي حقيقة هذا التطور؟ وممن يصدر هذا التعاطف ؟ هل هو من قوى لها وزن في الخريطة السياسية ؟ هل هو عملية تخدير من منطلق مبدأ توزيع الأدوار ؟ أسئلة كان يجب أن يطرحها المسئولون بصراحة ووضوح ولكن من أين لهؤلاء القدرة على التفكير العلمي الواعي الدقيق ؟ ولا نريد أن نُتَّهم بأكثر من ذلك .

عودة إلى موضوعنا؛ نعتقد أن النقطة الأولى التي يجب أن نبدأ بها في هذا التحليل تدور حول محور أساسي : حقيقة الفلسفة السياسية التي تسيطر على الإدراك الإسرائيلي الحاكم، والتي منها تنبع جميع عناصر التعامل مع مشكلة الشرق الأوسط أو بعبارة أدق

برز لأول مرة مع مناحيم بيجين أثناء زيارته للقاهرة كلمة تركت تمر دون تعليق عندما وقف أمام أهرامات الجيزة وقال : «هؤلاء أجدادنا بناة الأهرام[1]» . هذه العبارة لم تكن عشوائية وإنما هي تعبير عن نظرة جديدة وقناعة جديدة هي التي تسود الطبقة الحاكمة الاسرائيلية منذ عام ١٩٧٧ والتي أساسها أن اسرائيل ليست امتداداً للحضارة الغربية في المنطقة العربية وإنما هي دولة شرق أوسطية بحكم التواجد أولاً والتاريخ ثانياً وهي من ثم من حقها ليس فقط التحكم في هذه المنطقة بل وقيادتها تعبيراً عن الوظيفة التاريخية للمجتمع اليهودي. وقد ترتبت وارتبطت بذلك نتائج عديدة سواء من حيث التخطيط للحركة أو من حيث التعامل الاقتصادي .

فما معنى ذلك ؟ وما هي خلفياته ونتائجه على التعامل مع مصر ؟

قبل أن ننطلق في تحليل هذا المحور الخطير الذي على المخطط للسياسة الخارجية المصرية أن يكون واعياً به، علينا أن ندفع ببعض الملاحظات التي يجب أن تكون واضحة في الذهن منذ البداية :

«الملاحظة الأولى» أن التوليفة الحاكمة في إسرائيل تعكس انقلاباً حقيقياً . هذا الانقلاب هو التعبير عن وصول القوى المحافظة إلى السلطة واستقرارها في السلطة إلى فترة لن ترى في الأمد القريب نهايتها . القوى الحاكمة في الوقت الحاضر في تل أبيب هي توليفة بين اليمين التقليدي والقوى الدينية، وتتوسطها المؤسسة العسكرية، لا يعنينا هل هو ليكود أم تعاون بين ليكود وآخرين، أو كتلة العمل، وحتى لو قُدِّر لحزب الماباي وحده أن يحكم أنه لم يعد ولن يعد في الأمد القريب سوى عنصر من بين عناصر هذه التوليفة، التي هي تعبير عما يحدث في العالم الغربي من تطور نحو مفهوم اليمين الجديد . هذا اليمين الجديد هو المتربع في السلطة في الولايات المتحدة وفي مجموع دول أوروبا الغربية، بل وإلى حد معين في الاتحاد السوفييتي . ليس هذا موضع تحليل معنى اليمين الجديد ولكن لنا عودة لذلك .

---

(1) راجع جريدة الوفد يوم الخميس 9 أكتوبر 1997 نشرت مقالاً بعنوان «إسرائيل تعرض الآثار المصرية والعراقية المسروقة تحت عنوان (آثار أرض التوراة) في النمسا». وأن تل أبيب استعدت لهذا المعرض منذ عامين، « نتن ياهو » رئيس الوزراء الإسرائيلي قد افتتحه وسط دعاية إعلامية مكثفة، وهذا المعرض يدعمه 58 هيئة نمساوية. وقد ذكرت نفس الجريدة أن المغزى المراد من وراء المعرض هو طرح شعار من النيل إلى الفرات على المستوى القضائي بعد أن شاع –ولايزال– سياسياً . فإذا كانت "أرض التوراة" هي هذه الأرض التي يصورها المعرض بمقتنياته من العراق إلى مصر مروراً بالشام فإن تلك المساحة كلها ، وبالتالي هي أرض إسرائيل .

* أنظر كتاب "أهداف إسرائيل في البلاد العربية" اللواء الركن محمود شيت خطاب .

«الملاحظة الثانية» أن من يصنع القرار حتى في داخل الكنيست هو من يمثل هذه القوى الثلاث، لجنة الأمن القومي، والسياسة الخارجية لا يستطيع أن يجلس فيها من لا ينتمي إلى أحد الأحزاب(*) الكبرى الثلاثة : حيروت، وكتلة ليكود، حزب العمل، الحزب الديني أو كتلة المفدال . أما من عدا هؤلاء فلا وجود لهم في تلك اللجنة، وهي التي تشارك في صنع سياسة إسرائيل الخارجية . الكنيست يصوت ولا يناقش، هذا تقليد لم تعرفه إسرائيل فقط منذ فترة قصيرة بل منذ وجود إسرائيل حتى اليوم .

«الملاحظة الثالثة» علينا ألا ننسى أن إسرائيل تلجأ إلى تنفيذ سياستها إلى مبدأ توزيع الأدوار . فعندما تجد السلطة المسئولة موقفها متعنتاً أو صلباً أو غير مقبول من الطرف الآخر تدفع بقوة جانبية للأخذ بزمام الموقف لتليين الطرف الآخر أو لقيادة العمل الدبلوماسي . حدث هذا مع الاتحاد السوفييتي، والكتلة الشيوعية أعقاب حرب عام 1967؛ حيث تولى حزب(1) الماباي وظيفة التعامل الخارجي المباشر . كذلك مع الدول الأفريقية تقدم «الهستدروت» يأخذ بيده بزمام الموقف . بل في الصين، نجد الموساد (أي جهاز المخابرات) هو الذي يتولى تنفيذ سياسة إسرائيل الخارجية، وهو اليوم يحدث أيضاً مع مصر . ولذلك لا يجوز أن تخدعنا بعض تصريحات أو تعبيرات متعاطفة . يجب أن نتساءل : ممن تصدر هذه التصريحات؟ وما هو وزنها الحقيقي في خريطة القوى السياسية المتحكمة في إسرائيل؟

وهل هي مرتبطة بدور معين محدد مسبقاً من حيث الزمان والمكان والهدف؟

(*) راجع كتاب "النظام السياسي في إسرائيل. اللواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل – دار الوفاء للطباعة والنشر عام 1992 صـ 103 الفصل الرابع – الأحزاب السياسية . فيقول [ولا يعبر كثرة الأحزاب في إسرائيل عن انقسام حول هوية الدولة أو غايتها ، ولا حتى عن انقسام "أيديولوجي" حاد داخل النظام السياسي] ثم يتبين للقارئ أن في إسرائيل خمسة أنواع من الأحزاب وكل نوع يتفرع منه أكثر من أربعة أحزاب .. لذلك يقول فوزي طايل صـ 136 [معنى ذلك أن هناك أكثر من عشرين حزباً ، وأن الأحزاب السياسية كلها بمثابة أجنحة في حزب واحد صهيوني هدفه تحقيق إسرائيل من "الفرات إلى النيل" ، ومن نهر الأردن للبحر المتوسط وتكون عاصمتها الموحدة "القدس" التي يعاد فيها بناء الهيكل على أنقاض الأقصى . فاعتبروا يا أولي الأبصار .

(1) حزب الماباي : هو حزب العمل في إسرائيل حصل على 46 مقعداً عام 1949 ، وعلى 45 مقعداً عام 1951 ، ثم على 40 مقعداً عام 1955 وفي انتخابات عام 1959 حصل على 47 مقعداً، وهبطت حصته من المقاعد عام 1961 إلى 41 مقعداً . (راجع النظام السياسي في إسرائيل) اللواء فوزي محمد طايل صـ 110 – مصدر سابق .

«الملحوظة الرابعة» أن إسرائيل تعاصر حالياً مرحلة من التمركز في السلطة لم تعرفها في تاريخها، ومرد ذلك أن الطبقة العسكرية التي تمثل قيادة المؤسسة العسكرية ليست تلك الطبقة التي تعودناها . لقد تعودنا رجالاً وسياسيين أو مشبعين بالمفاهيم الأيديولوچية وصلوا إلى القيادة العسكرية عن طريق انتماءاتهم السياسية . موشى دايان نموذج واضح . اليوم لم يعد لذلك مجال، فالمؤسسة العسكرية يقودها مهنيون، هم عسكر تمرسوا على مهنة القتال منذ طفولتهم ونجحوا في ذلك دون أن يرتبط هذا النجاح بتفوق مماثل في قناعاتهم السياسية، بل ويغلب ألا تكون لهم انتماءات حزبية . الدولة بمفهومها الحقيقي اكتملت حيث أضحت مؤسسات ثلاث تعكس الوظيفة القومية، ولا تشترك في المهاترات الحزبية : **الجامعة والجيش والأداة الدبلوماسية** . هذه القوة الجديدة التي حللها لنا أكثر من دارس هي المحور الحقيقي للتطور الذي تعيشه إسرائيل » .

وانتقل الكاتب ليعرف بعلاقة الشرق أوسطية بدولة إسرائيل فقال : « ما معنى اسرائيل دولة شرق أوسطية ؟

في خطبة «لشاريت» أمام الأمم المتحدة منذ قرابة ثلاثين عاماً عرّف حقيقة إسرائيل ووظيفتها في العالم المعاصر . وهو لم يكن في هذا سوى بوق يعكس أفكار قائد الدولة الصهيونية بن جوريون . إسرائيل هي دولة غربية . إنها امتداد للحضارة الأوروبية إنها الرضيع الذي وضعت جذوره القدرة والحضارة والتقاليد التي تنتمي إلى أوروبا ذات التقاليد الواضحة في منطقة الشرق الأوسط إسرائيل تدافع عن هذه الحضارة وتحمل علم هذه الحضارة . إنها واحة الديمقراطية في صحراء التخلف . ما هي الحضارة الغربية في أبسط مفاهيمها ؟ ثلاثة عناصر متكاملة . ديمقراطية للنظام السياسي . احترام لكرامة وحرية الإنسان . سيادة لمنطق العقلانية والعلمانية في آن واحد . هذه هي المفاهيم السائدة في الصهيونية العمالية .

وليكتمل هذا الاطار وضوحاً علينا أن نعود إلى تقاليد الصهيونية السابقة، على إنشاء إسرائيل . لقد وجد في تلك التقاليد بغض النظر عن المفاهيم الصهيونية تقليدان : أحدهما اشتراكي وثانيهما يميني . **«الأول»** يستمد تقاليده الأولى من التطور اليهودي في شرق ووسط أوروبا، وهو الاتجاه السائد والذي يمثله بن جوريون . **«الثاني»** الذي برز في الثلاثينات والذي يستمد تقاليده الحقيقية عن الدولة العلمانية من جانب وايطاليا الفاشستية من جانب آخر، يوصف بالاتجاه التصحيحي . حمل لواءه جابوتنسكي، واستطاع في لحظة معينة أن يخلق مدرسة متكاملة مختلفة عن التوجه الأول . لا تعنينا التفاصيل والتطور التاريخي بقدر ما يعنينا جوهر هذا التوجه الفكري .

«أولاً» فهو خلافاً للمدرسة العمالية، يجعل من الدين اليهودي هو المحور الحقيقي للصهيونية . الصهيونية هي لغة اليهودية في القرن العشرين . العلاقة بين التوجه السياسي والتقاليد الدينية ليست علاقة توالد؛ ولكنها علاقة ترابط بحيث أن كلاهما وجه آخر لحقيقة واحدة . على العكس من ذلك فإن التوجه الاشتراكي يرى في اليهودية أحد مصادر الصهيونية. الصهيونية هي حصيلة تطور اندمجت فيه عناصر أربعة : قيم اشتراكية، عنصرية، قومية، ثم تعاليم وتقاليد يهودية . وهكذا الصهيونية تصير تزاوجاً بين مصادر أربعة فرضت عليها التطورات التاريخية الاندماج، لتكون نموذجاً جديداً للوجود الانساني اليهودي . وبعبارة آخرى الدين اليهودي يصير أحد عناصر التكوين للصهيونية في التطور الاشتراكي، بينما يصير هو والصهيونية حقيقة واحدة في التصور الآخر . الدين اليهودي بتعاليمه هو المحور الحقيقي للحركة الصهيونية . من العبث الحديث عن العلمانية في الدول العبرية .م

«ثانياً» ويرتبط بذلك النظرة **إلى الاستيطان اليهودي**(1) **في أرض فلسطين**، فهو في هذه النظرة التصحيحية أي نظرة جابوتنسكي وتابعيه تعبير واضح عن جهد

---

(1) راجع كتاب "النظام السياسي في إسرائيل. فوزي محمد طايل – مرجع سابق صـ278 حيث يقول : وترجع قصة الهجرات والاستيطان هذه إلي دراسات صهيونية أجريت في أواخر الستينات وكانت تقدر أن ضم إسرائيل للضفة الغربية ونهر الأردن وقطاع غزة سوف يؤدي إلى أن يشكل العرب عام 1990 نسبة 45% من إجمالي السكان في إسرائيل مضافاً إليها هذه الأراضي الأمر الذي يعرض إسرائيل لحرب أهلية (الذي حدث بالفعل في شكل الانتفاضة التي بدأت في ديسمبر 1987) . لذا ارتفعت أصوات صهيونية تعارض ضم الضفة الغربية وقطاع غزة في هذه المرحلة الزمنية خوفاً من حدوث هذا الخلل (الديمغرافي) ، وكان الخيار الآخر هو السير قدماً لتوحيد ما اطلقوا عليه أرض إسرائيل (إرتص يسرئل) علي أن يصحب هذا الخيار أمران :

الأول : جلب هجرة مكثفة من الإتحاد السوفيتي قدروها بـ 400,000 ألف يهودي قبل عام 1990 على أن تستوطن الأراضي التي احتلت بعد عام 1967.

الثاني : طرد الفلسطينيين وتشجيعهم على الهجرة الاختيارية النهائية إلى خارج فلسطين فيما أطلقوا عليه "عملية المغناطيس العكسي" ... ثم قال في صـ 279 : وتتوقع وزارة الاستيعاب والهجرة الإسرائيلية وصول من 100 : 120 ألف مهاجر حتى عام 1993 .

* ولقد حذر أربعة من ضباط الجيش المصري الرئيس السادات (في حينه) من خطورة ما يجري في هذا الشأن راجع كتاب "لعبة الأمم والسادات" مصدر سابق صـ 524 النقطة ثالثا حيث قالوا : [لم يأت ذكر لوقف عملية انشاء المستعمرات الإسرائيلية (وكلها غير مشروعة) ..... وبذلك يمكن أن تستمر عملية تغيير الأوضاع السكانية في هذه المناطق لمصلحة إسرائيل] .

* راجع كتاب حوارات القدس – عماد الدين أديب – كتاب اليوم عدد يناير 1997 صـ 56 تحت عنوان "سيناريو التهويد" قالت د. حنان عشراوي : [هناك خطة مدروسة متكاملة لتفريغ القدس من الفلسطينيين المقدسين ولجلب إسرائيليين يهود إلى القدس . وذلك لإحداث خلل أو عدم توازن (ديمغرافي) في القدس وبشكل مدروس إسرائيل تقوم بإخلاء القدس عن طريق الضرائب ، منع البناء ، هدم البيوت ، خاصة حي المغاربة القديم ، عن طريق جعل الحياة للمقدسين الفلسطينيين مستحيلة أو شبه مستحيلة .]

استعماري أنه ليس مجرد مشكلة خلق اطار للتطور الطبيعي للوجود اليهودي، في شكل دولة قومية كما يحدث بالنسبة لجميع المجتمعات المعاصرة التي وصلت إلى مستوى معين من الاقناع للقدرة الذاتية . وهذا ما يقوله هرتزل وأبناؤه، وإنما هو امتداد للحركة الاستعمارية التي نشأت وتبلورت في علاقة العالم الغربي بالعالم المتخلف والملون خلال قرنين من الزمان . ورغم أننا سوف نرى فيما بعد كيف أن جابوتنسكي وبصفة خاصة خلفاءه لن ينظروا إلى إسرائيل على أنها امتداد للحضارة الغربية، إلا أنه فقط في هذه الناحية يرى هؤلاء أن هناك علاقة وثيقة بين التراث الأوروبي وإنشاء إسرائيل. عملية إنشاء إسرائيل في ذهن جابوتنسكي هي إعادة بناء مملكة إسرائيل وهذه المملكة هي الشئ الوحيد الذي يصير انجازاً حقيقياً للسياسة الأوروبية في الشرق الأوسط .

«ثالثاً» مملكة اسرائيل[1] . يجب أن تشمل كنقطة بداية كل ما يتصل بفلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني أولاً وأن تستوعب ضفتي نهر الأردن الغربية والشرقية من جانب آخر . إن فكرة التدرج في انشاء اسرائيل وفي اعلان النوايا الحقيقية للصهيونية لا موضع لها . علي الحركة الصهيونية أن تعلن منذ البداية أهدافها الحقيقية وعليها أن تنطلق في انشاء دولة اسرائيل التاريخية هي تلك التي حددتها المصادر النوراتية .

«رابعاً» وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ليس أمام الشعب اليهودي سوى استخدام القوة[2] . القوة والعنف بجميع تطبيقاته . أن العنف هو الذي يقود إلى الخلاص القومي . ليست هناك دولة لم تنشأ إلا بحد السيف . والصراع العسكري هو مرحلة أساسية في البناء القومي حيث ينتقل الشعب من السلبية إلى الإيجابية هذا الصراع هو وحده الذي يكسب الشعب احترام الذات . فقط الصراع والألم والعنف والدماء هو الذي يثبت للشعب ازاء نفسه أنه جدير بأن يرتفع إلى مستوى الأمة .

---

(1) مملكة إسرائيل وهم افتعله اليهود، راجع في ذلك كتاب إسرائيل بين اليهودية والصهيونية (ترجمة حسين حيدر)، الناشر دار التضامن – بيروت طبعة أولى 1990 صـ25 . ولابد أن نعلم أن العدو لا يؤمن بمبدأ السلام، من أجل هذا يغتصب المزيد من الأرض ومن أجل هذا، فتح باب الهجرة أمام اليهود من شتى بقاع العالم إلى الأرض المحتلة؛ ومن أجل هذا يجري بناء المستوطنات أي تهويد الأرض. أي تغيير ديمغرافية السكان والأرض. هل كان علينا أن ننتظر طيلة هذه السنوات منومين مخدرين وقد صممنا الآذان عن نصائح العلماء التحذيرية؛ من أهمية إعداد القوى المعنوية والمادية لمواجهة الخطر الصهيوني الاستعماري. هل كان علينا أن ننتظر طيلة هذه الفترة حتى نؤمن بأن العدو لا يريد السلام ؟ .

(2) العدو الصهيوني لا يعرف السلام وهذا بنص التوراة حيث تقول (أرجلهم إلى الشر تجري، وتسرع إلى سفك الدم الذكي. أفكارهم أفكار إثم. في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام =

«خامساً» وتبعاً لذلك فالخلاف بين الصهيونية العمالية، والصهيونية التصحيحية، أيضاً فيما يتعلق بالسياسة الخارجية واضح ودقيق . وسوف نرى كيف يعود هذا الخلاف ليسيطر على القيادة الإسرائيلية عقب مجئ مناحيم بيجين إلى السلطة .

الاشتراكية الصهيونية كانت تنظر إلى السياسة الخارجية على أنها علاقة بين الأهداف والأدوات، في علاقة منطقية ثابتة، وبعبارة آخري فهو يختار الأهداف لتتوافق مع الأدوات المتاحة. الصهيونية التصحيحية لا تؤمن بذلك، بل ترى ضرورة أن الأهداف تفترض وقد تحددت دون اعتبار بالإطار الدولي أن تسعى لتغيير ذلك الإطار الدولي تبعاً لتلك الأهداف وليس العكس . أنها يجب أن تكون قادرة، أي الصهيونية، على أن تغير من الاطار الدولي ولو في لحظة معينة وبالديناميكية الكافية ليتقبل تلك الأهداف .

«سادساً» جابوتنسكي كان مقتنعاً بأن العالم العربي أكذوبة، وأن منطقة الشرق الأوسط لا يوجد بها سوى عالم اسلامي**القومية العربية** هي اختراع خلقه الوهم الغربي . ومن ثم فإن اطار الصراع ليس هو الصدام العربي الاسرائيلي ولكنه التصادم الاسلامي الشرقي مع الصهيونية السياسي[1] . في داخل هذا الاطار فقط يتحدد هذا الصراع . وهنا يجب أن نتذكر أن جابوتنسكي عاش في الدولة العثمانية وقبل تصفيتها مع الحرب العالمية الأولى . وترسبت في ذهنه حقيقة ثابتة وهي أن طيلة الفترة الممتدة من المؤتمر الصهيوني الأول حتى تفجير الامبراطورية العثمانية ورغم الضعف الحقيقي للدولة العثمانية فإنه لم تجرؤ أي قوة دولية على أن تتعامل بجدية مع أهداف الصهيونية .

= لـم يعرفـوه. وليس في مسالكهم عدل. جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة كل من يسير فيـه لا يعرف سلاماً). سفر أشعياء 4/59 : 8 .

طريقتهم لاستخدام القوة إنما تكون بعد إضعاف البلد – الوطن – الشعب الذي يريدون استخدام القوة معه. لأن طبيعة اليهود الغدر .. والخسة وإيقاع الشعوب بعضها مع بعض حتى داخل البلد الواحد.

قالت التوراة سفر أشعياء 3/19 (وأهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد أخاه، وكل واحداً صاحبه، مدينة مدينة، مملكة مملكة، وتهراق روح مصر داخلها .. وأفني مشوراتها ...) .

وهنا نذكر بالمقولة التي تقول [**وقطعت جهيزة قول كل خطيب** : فالعلماء وأهل الاختصاص حذروا الأمة في حينه من أن العدو الصهيوني لم يقتنع بما اغتصبه من أرض العالم العربي، بل يرنوا ببصره إلى اغتصاب المزيد من أرض الأمة تحقيقـاً لحلـم (أرض التوراة من النيل إلى الفرات) وأن العـدو يري أن السبيـل الوحيد لتحقيـق هـذا الحلـم هـو استخـدام القـوي بكافـة أشـكالها سـواء النوويـة التكتيكيـة أو الجرثوميـة أو الكيمائيـة. = ←

«سابعاً» ولكنه من جانب آخر كان يؤمن بسيادة أي حضارة آخرى على الحضارة الاسلامية . وصل به الأمر إلى نقد كل اتجاه يهودي، كان أساسه النظرة الرومانسية إلى الحضارة الاسلامية . ورغم تسليمه بأن العالم الاسلامي كان يمثل كيانا حضارياً واحداً إلا أنه كان يقع في مرتبة دنيا بالنسبة للحضارة الغربية . هناك مناقشة فقهية حول مصدر هذا التخلف في فكر جابوتنسكي : هل هو نتيجة لخصائص عنصرية تنتهي بسيادة العنصر الأبيض ؟، أم أنه مرتبط بمستوى التقدم الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة ؟ ولكن الأمر الذي يعنينا أن هذا التصور قاد إلى نتيجتين :

«الأولـــى» أن الصراع في المنطقة هو الصراع بين اسلام متخلف ويهودية متقدمة، وليس صراعاً بين قومية عربية وآخرى صهيونية . «الثانيـــة» أن هذا الصراع حتمي لا يمكن التهرب منه .

«ثامناً» وتصل قمة فلسفة جابوتنسكي مع أحد اتباعه «ليفنيه» الذي وقف في صراع فكري عنيف مع وصف إسرائيل بأنها امتداد للحضارة الغربية . أن جوهر التاريخ الأوروبي هو استئصال اليهود فترة الحكم النازي . هذه هي حقيقة التاريخ . واستئصال اليهود من جانب قادة النازي سهلة، في واقع الأمر نوع من التواطؤ من جانب جميع الأمم الأوروبية وبغض النظر عن نظامهم السياسي . وهو يصل به الأمر إلى القول بأن فترة التعاطف على اليهود التي ميزت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ليست الا لمحة من الزمن ولا يوجد ما يمنع من تصور فترة قادمة أكثر تعصباً ضد السامية .

= ---> من أجل هذا يقوم العدو أيضاً بتخريب المجتمعات العربية من الداخل، من خلال إشاعة الفتن الطائفية، ومن خلال إشاعة الفرقة بين الحاكم والمحكوم، ومن خلال نشر الإيدز والمخدرات وإفساد الذمم، ومن خلال تدمير الاقتصاد (الزراعة – الصناعة – التجارة) ومن خلال الهيمنة العسكرية والإقتصادية، والتعليمية والإعلامية لطمس هوية الأمة الإسلامية، وضرب جدار المقاومة – العقيدة – وأيضاً من خلق شلل في وظيفة العالم العربي الإسلامي العالمي على اعتبار أنها حاملة رسالة خير أمة أخرجت للناس.

كل ذلك تمهيداً للغزو العسكري.

(1) راجع كتاب «إسرائيل بين اليهودية والصهيونية» روجية جارودي ترجمة حسين حيدر طبعة أولـى عـام1995 الناشر دار التضامن صـ15 حيث يقول: [ويتم التحول الأدبي إلى الحقوقي، ومن الجدل السياسي إلى الحرب الدينية عبر التباس آخر.. وخلط آخر. فلا يكفي اللعب على الانزلاق غير المعترف به من الصهيونية الدينية إلى الصهيونية السياسية «مما يسمح بإضفاء القداسة على السياسة وجعلها أمراً محرماً لا يمكن تناوله» بل يجري اللعـب علـى التطابـق بين الصهيونيـة السياسيـة واليهودية لاتهام كل من ينتقد السياسة الصهيونية لقادة اسرائيل بمعاداة السابق .

هذه هي خلاصة سريعة وموجزة لفكر جابوتنسكي وتلاميذه . هذا الفكر الذي ظل بعيداً عن السلطة في إسرائيل خلال قرابة ثلاثين عاماً، هو الذي حمله معه إلى موقع القيادة مناحيم بيجين مع وصول كتلة ليكود إلى السلطة وهو الذي يسيطر اليوم على القيادة الاسرائيلية .

فما هي العناصر الواضحة في هذا الفكر والمسيطرة اليوم على الادراك القيادي الاسرائيلي بالتعامل في منطقة الشرق الأوسط وبصفة خاصة مع نظرية السلام كمحور للتعامل بين مصر وإسرائيل ؟

تطور مفاهيم جابوتنسكي والقناعة الجديدة في القيادة الاسرائيلية المعاصرة .

مع مجئ ليكود إلى الحكم واختفاء حزب العمل من السلطة حدث تطور خطير في القناعة القيادية وفي مفهوم ممارسة السلطة في أبعاد ثلاثة .

«الأول» عملية تهذيب المفاهيم التي سادت في إسرائيل خلال قرابة ثلاثين عاماً من حيث التعامل مع مشاكل إسرائيل السياسية في الداخل وتبويب وظيفتها في الخارج سواء كان ذلك بالنسبة للأبعاد الاقليمية لتلك الوظيفة أو لعلاقة اسرائيل بالولايات المتحدة .

«الثاني» هذا التهذيب لم يقتصر على أن يقدم لنا فلسفة جديدة، بل هي أقرب إلى الواقع الاجتماعي الذي أصاب المجتمع الإسرائيلي . خطورة هذه الفلسفة الجديدة، أنها بلورت حقيقة القوى الجديدة بحيث يمكن القول بأنها تعبر بصدق عن حقيقة تلك القوى التي تسود الواقع الاسرائيلي وهي لذلك قد التصقت بهذا المجتمع بحيث يمكن القول بأنه حتى لو حدث ضعف أو اختفى حزب حيروت وكتلة ليكود، فان المفاهيم الجديدة سوف تظل سائدة إلى فترة غير قصيرة.

«الثالث» أن محور هذا التطور الحقيقي النظرة إلى إسرائيل على أنها دولة شرق أوسطية، وأنها تنتمي إلى هذه المنطقة عضوياً وحضارياً بما يعطيها من حقوق معينة ويضفي عليها شرعية معينة فيما يتعلق بوظيفة تلك الدولة في المنطقة .

فلنتابع هذه العناصر الثلاثة بشئ من التفصيل .

المفاهيم الجديدة التي بلورها حزب حيروت في القناعة القيادية الإسرائيلية .

هذا الإدراك والذي يستمد مصادره من مفاهيم جابوتنسكي، والتي سبق ولخصناها يستند بصفة خاصة إلى عنصرين أساسيين: **«الأول»** أن إسرائيل دولة شرق أوسطية و **«الثاني»** القناعة بأن الدين هو العنصر الأساسي، والمحور الأول والوحيد في تنظيم اطار التعامل مع منطقة الشرق الأوسط، كلاهما أي هذين العنصرين يكمل الآخر ومن هذا يتكون النسيج العام للسياسة الإسرائيلية الجديدة .

فلنتابع هذه العناصر قبل أن نحلل نتائجها .

«أ» أول هذه العناصر : أن إسرائيل دولة شرق أوسطية. هذا المفهوم يملك مصادر بعيدة. فمنذ الكلمات الموجعة التي وجهها ديجول إلى بن جوريون قبل حرب الأيام الستة، بدأ التفكير الجدي في كيف تستطيع إسرائيل أن تندمج في المنطقة لتصير وجوداً طبيعياً متجانساً مع دول المنطقة. وجاءت حرب 1967 وانتصاراتها العنيفة لتمنع ذلك التطور. لقد خرجت إسرائيل دولة منتصرة يملؤها الغرور. ولكن مع مجئ ليكود إلى السلطة لم تعد نظرة إسرائيل إلى دور الشرق الأوسط على أنها دول الجوار الجغرافي، أنها أكثر من ذلك. فإسرائيل دولة تنتمي إلى هذه المنطقة تاريخياً وحضارياً فضلاً عن ذلك الانتماء المكاني. أليست إسرائيل من حيث التاريخ إحدى دول المنطقة قبل أن تظهر في هذه المنطقة الدولة الإسلامية الكبرى؟ المنطقة هي أرض الأديان حيث نزلت فيها الأديان الكبرى اليهودية(1).

نزلت وتطورت في منطقة الشرق الأوسط. وإسرائيل هي أداة الدين اليهودي. وهل يستطيع أحد أن يلغي قصة التاريخ؟ وهي لذلك جزء من تاريخ هذه المنطقة الحضاري. الشعور بالانتماء الحضاري ظل يسيطر على المجتمع اليهودي في جميع مراحل تاريخه، بل ووُجدت عناصر يهودية ظلت في تلك المنطقة وهي تحافظ على ذلك الانتماء الروحي تدفع ضريبة ذلك بالدم والتضحية .

---

(1) إن الله سبحانه وتعالى قد تعهد للبشرية برسل خاتمهم محمد ﷺ يدعون إلى دين واحد هو الاسلام قال تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ آل عمران/19 . قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران/85 . قال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ المائدة/3 . فالفارق بين الرسالات كما يقول تعالى ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ المائدة/48 فاليهودية ليست دينا سماوياً وإنما هي بدعة ، كما أخبر بذلك الحافظ "ابن كثير" في تفسير القرآن العظيم قوله تعالى ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل ...﴾ البقرة/42 فقال : (قال قتادة لا تلبسوا الحق بالباطل – يعني لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام ، إن دين الله الإسلام ، واليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله) .

* راجع مختصر ابن كثير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت المجلد الأول صـ 58.

* ولقد أرسل موسى عليه السلام بشريعة التوراة وهو مسلم قال تعالى ﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ سورة يونس/84

هذه الطبيعة الشرق أوسطية، تضفي على إسرائيل طبيعة معينة، وتفرض عليها وظيفة حضارية معينة وترتب لها أيضاً حقوقاً معينة في مواجهة دول وشعوب المنطقة أقلها حق القيادة والتوجيه. السياسة الخارجية الإسرائيلية يجب أن تنبع من نظام القيم الجديد الذي ينطلق ويتأسس على هذا المفهوم .

«ب» العنصر الثاني: أن محور التعامل في المنطقة، ومع المنطقة هو العنصر الديني. ليس فقط بمعنى أن إسرائيل هي الدولة التي تحمل عبء الوظيفة السياسية لليهودية، بل كذلك بمعنى أن ما يسود هذه المنطقة هو الطبيعة الإسلامية للتصور الديني والسياسي. نتائج ذلك عديدة نذكرها بإيجاز لأنها تخرج عن نطاق موضوعنا الآن نسبياً:

(أولاً) أرض الأمة العربية ليست إلا وهما خلفه الإدراك الخاطئ من الجانب الأوربي.

(ثانياً) ورقة الاسلام هي العنصر الأساسي في عملية تفتيت المنطقة، يجب أن تُستغل إلى أقصى حد. مرد ذلك إلى القناعة بأن الدين متغير أساسي في الوجود السياسي. ومن ثم يجب توظيفه كمنطلق يسمح بالتسلل إلى المنطقة وذلك بأسلوب مزدوج: من جانب تشويه التراث الاسلامي، ومن جانب آخر خلق القناعة بعملية التواصل الحضاري بين ذلك التراث وأصوله اليهودية، خلق الجسور بعبارة أخرى بين التراث اليهودي وما يسمى بالحضارة الاسلامية يصير سلاحاً ذا حدين: فهو أداة لخلق الترابط وهو من جانب آخر وسيلة لاثبات فضل اليهودية على الاسلام. بل ولا يتردد البعض في الحديث عن المصادر اليهودية للقرآن .

(ثالثاً) ويرتفع هذا إلى القمة عندما يطلق علينا انصار هذا التصور ما يسمونه حوار الحضارات حيث يجب أن يتقابل الفكر الكاثوليكي والفكر الاسلامي ويتوسطهما الفكري اليهودي، الذي هو (وهو وحده) مصدر مباشر لكلا الاتجاهين. بل هو لا يقتصر على أن يطلق هذه الفكرة كبالون اختبار بل ينقلها إلى مشروع سياسي يرتبط بالقدس وينجح في خلق القناعة بها سواء لدى الرئيس السادات وسواء القيادات المسئولة في الفاتيكان.

سياسة اسرائيل الخارجية الجديدة ومقوماتها:

من هذا المنطلق تتبلور سياسة إسرائيل الخارجية التي بدأنا نعاصرها منذ عام 1977 وظلت في عملية تطور ثابتة لتتبلور حول عناصر أساسية مع عام 1982 وبصفة خاصة مع حرب لبنان.

ما هي عناصر هذه السياسة؟ تقوم على العديد من المبادئ، ولكن تعنينا من هذه الأصول خمسة عناصر أساسية تسمح لنا بفهم وظيفة اسرائيل الاقليمية في هذا النطاق:

(أولاً) هذه المفاهيم أن إسرائيل تملك نظاما جديداً للقيم؛ هو الذي يجب أن يسيطر على سياستها الخارجية، ويجب أن تنبع منه جميع تحركاتها. وسوف نعود إلى ذلك تفصيلاً.

(ثانياً) العالم العربي على استعداد لتقبل الوجود الاسرائيلي في المنطقة، العالم العربي لم يكره اليهود ولم يعرف مفهوم التعصب العنصري في مواجهة الشعب اليهودي، الذي هو مفهوم أوروبي. لقد صدر له من خلال مفاهيم التعامل السياسي في القرن العشرين. وهو اليوم في حاجة لأن يتعلم كيف يتقبل الوجود الإسرائيلي، وبصفة خاصة قيادة المنطقة من جانب الدولة اليهودية.

(ثالثاً) التعامل مع المنطقة العربية يجب أن ينبع من مفهوم القوة والعنف، ليس فقط لأن هذه المنطقة لا تفهم سوى هذه اللغة، وليس فقط لأن هذا هو أسلوب بناء الشعوب القومية، بل إن الحديث عن السلام لابد وأن يُضعف الموقف اليهودي. يجب على الجانب اليهودي أن يشجع الجانب العربي على التصلب الذي تقابله الهزائم العسكرية[1]، لأن العرب لن يتقبلوا الموقف إلا إذا فقدوا الأمل في القدرة على التصدي. وهذا هو الذي يُفسر مذابح صبراً وشاتيلا.

(رابعاً) الزعم بأن إيران ضد إسرائيل، ليس الا لغة غوغائية آن الأوان لاخضاعها لنظرة نقدية حقيقية: العلاقة بين إيران واليهود هي علاقات تاريخية، والصداقة بين الشعبين رغم أنها اجتازت مراحل متباينة إلا أنها تاريخية وقديمة. هناك ترابط حضاري بين الشعبين الفارسي واليهودي، يجب أن يعود إلى الحياة حتى ولو من منطلقات جديدة، وبمنطق جديد. هذه العلاقة أيضاً يجب أن تمتد إلى تركيا، بحيث يتم خلق مثلث يحصر في داخله منطقة الشرق الأوسط لصالح إسرائيل.

(خامساً) كذلك فإن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ليس محورها حاجة إسرائيل إلى الولايات المتحدة، وإنما هو حاجة الولايات المتحدة إلى إسرائيل. يجب من ثم أن يوجد تحالف بين الدولتين على قدم المساواة، بحيث أن علاقة تل أبيب بواشنطن يجب

---

(1) وهذا ما حدث عام 56 ، عام 67 لقد استدرج العدو الصهيوني الأمة العربية إلي حربين حدد زمانها ومكانها والأهداف التي تحقق من ورائها ، دون أن تدرك الأمة العربية خطورة هذا الأمر .

أن تسودها الندية. وهكذا كان التطور نحو التعاون الاستراتيجي ثم التحالف الحقيقي بين الدولتين، الذي تم في اطار هذه القناعة وهو أمر يبدو واضحاً منذ أن كان «مناحيم بيجين» يجلس في مقعد القيادة في الجانب الاسرائيلي «وهيج» لايزال مسئولاً عن السياسة الخارجية الأمريكية.

هذه المفاهيم الخمسة هي التي تسيطر على السياسة الخارجية الإسرائيلية. بقي أن نفصل في البعض منها وبصفة خاصة فيما يتعلق بثلاثة أبعاد:

أ) القيم الجديدة التي تسود صانع السياسة الخارجية الاسرائيلية.

ب) علاقة هذه القيم بالوظيفة الاقليمية للدولة اليهودية.

جـ) أثر ذلك في التعامل مع مصر خلال الحقبة القادمة.

نظام القيم الجديدة والسياسة الإسرائيلية:

نستطيع أن نحدد هذه القيم بأربعة مثاليات نتابع تدريجياً :

(أولاً) إسرائيل هي دولة دينية تدافع عن القيم الأصيلة للدين اليهودي(1).

(ثانياً) إسرائيل تؤدي وظيفة حضارية، أوسع وأشمل من مجرد التعبير عن العلاقات بين اليهود والدولة العبرية.

(ثالثاً) إسرائيل هي قائدة منطقة الشرق الأوسط، تتحدث باسمها ومن حقها أن تسيطر على تلك المنطقة.

(رابعاً) إنشاء إسرائيل الكبرى عنصر آخر، ولكنه مستقل، عن وظيفة الهيمنة والسيادة على المنطقة. كل من هذه العناصر في حاجة إلى تفصيل.

إسرائيل ليست مجرد دولة لتجميع اليهود، ولكنها دولة تحمل راية القيم الدينية(2) اليهودية. إنها الدولة اليهودية، حيث القيم التقليدية لهذا الدين تجد مكانها الحقيقي وبحيث تستطيع هذه الديانة أن تُنَوع لتمارس وظيفتها التاريخية. وهي لذلك ليست فقط دولة المجتمع اليهودي إنها أكثر من ذلك. إنها الدولة التي يجب أن تؤدي وظيفة القيادة الحضارية. المجتمع اليهودي الذي تقيمه هذه الدولة ليس مجرد الشعب الذي ظُلم وضحي به ودفع ضريبة التطور نحو الكمال الروحي. أنه مقدمة الحضارة التي آن

---

(1) ، (2) سوف نقوم بالتعليق عليهما في نهاية المقالة تحت عنوان (تعقيب) .

obeikandl.com

لها أن تقود الانسانية لتهدي، وتوصل نظرة جديـدة في الحياة والوجود. إن حق العذاب يؤهل هذا الشعب لأداء هذه الوظيفة. والاختيار الإلهـي يعطي دولة إسرائيل حقوقاً معينة ويفسر ليس فقط حقها في السيادة على المنطقة، بل وحقها في أن تتحدث باسم المنطقة. إن واجبها أن تنظر إلى شعوب المنطقـة على أنها تجمعات متخلفة، وهي وحدها التي سوف تخرجهم من الجهالة.

وهنـا تبرز بوضوح كيف أن وظيفة مصر الاقليمية يجب أن تختفي لصالح وظيـفة اسرائيل الاقليمية. ولكن لا يوجد ما يمنع أنه خلال مرحلة أولى، يمكن توظيف مصـر إلى خـلق التسـرب في داخل المنطقة، وعقب أن يتـم ذلك تستأصـل تلك الاداة ويكون التعامـل مباشرة.

القوى المساندة والمؤيدة للسياسة الاسرائيلية الجديدة :

على أننا لا يجوز لنا أن نتصور أن هذه السياسة الجديدة محورها فقط الفكر التصحيحي المحافظ. إنها تعبير عن واقع اجتماعي واقتصادي يؤكد أنه حتى عقب اختفاء ليكود، أو رغم مشاركته للماباي في الممارسة السياسية، فان هذه السياسة سوف تظل هي المحور الحقيقي للسياسة الاقليمية لإسرائيل.

(أ)فمن الناحية الاجتماعية أو بعبارة أدق من حيث التطور الداخلي في المجتمع الإسرائيلي، هناك توافق تام بين هذه السياسة والواقع المعاصر الإسرائيلي. الواقع المعاصر الاسرائيلي محوره هو الزيادة الواضحة في عدد السكان الذين ينتمون إلى الأصل الشرقي. وهؤلاء يتميزون بالتعصب العنيف من جانب، وتدعيم السلوك الاستفزازي المبالغ فيه في مواجهة العرب. فالتحليلات الميدانية تؤكد أن اليهود من أصل شرقي، قد وصلوا في التعداد الذي أجري في أعقاب حرب لبنان إلى ضعف اليهود من أصل غربي. بل والملاحظ أن هناك تقارباً حقيقياً بين اليهود الشرقيين من جانب واليهود المتدينين؛ حتى لو كانوا من أصل غربي، ثم جيل الصابرا وهذا يفصح عن حقيقة التوجه السائد. ويلاحظ على هذا التوجه هو التشدد في التعامل مع العرب، وتفضيل أساليب العنف وعدم التحرك ازاء موجات الارهاب التي تمارسها السلطات الحكومية في مواجهة سكان الأرض الأصليين. موقفهم لم يتغير ولم يؤثر في تمسكهم بالتشديد في التعامل سواء حرب لبنان أو مذابح المعسكرات بل وحتي عقب نشر تقرير كاهان. أن الذي حدث من خلاف حول الرضاء القومي مرده فقط أمران :

من جانب عدم تحقيق الأهداف التي وُضعت في حرب لبنان، ومن جانب آخر الخديعة التي استخدمت في تقديم المعلومات إلى مجلس الوزراء.

(ب)الناحية الاقتصادية بدورها ذات موضع هام. إسرائيل تعلم أنها في حاجة في نهاية هذا العقد لتحتفظ بمستواها من حيث الرفاهية الذي حددته لنفسها، وهو مستوى دول جنوب أوروبا الفقيرة أي اليونان وأسبانيا، إلى معونة أمريكية تصل إلى حوالي ثلاثة وثلاثين بليونا من الدولارات والاقتصاد الأمريكي لا يستطيع أن يقدم هذه المساندة ؟ ولذلك على إسرائيل أن تكتشف لها مصادر أخرى.

التوجه الاقتصادي لتغطية هذا العجز في الأمد القريب نسبياً يتجه إلى أربعة مصادر:

أولاً : السوق الاستهلاكي المصري ليستوعبه ويستغل امكانياته.

ثانياً: سوق منطقة الشرق الأوسط الاستثماري حيث العوائد البترولية لابد وأن تثير شهية المخطط الصهيوني.

ثالثاً: السوق الدولي للسلاح وفعلاً بدأت إسرائيل بهذا الخصوص منذ فترة غير قصيرة جهدها وبصفة خاصة في الصين، التي بلغ حجم تعاملها حتى نهاية العام قبل الماضي أكثر من بليوني دولار. ثم السوق الإيراني دون الحديث عن أسواق أخرى أقل أهمية.

رابعاً: ثم السوق الدولي للخدمات وبصفة خاصة في دول العالم الثالث سواء في أفريقيا أو في أمريكا اللاتينية.

كل هذا يقود إلى طرح السؤال: **ما هي عناصر وما هو مستقبل وظيفة إسرائيل الدولية** ؟ تأسيساً على وجودها في قلب منطقة الشرق الأوسط؟

هنا يبرز بشكل واضح كيف لابد وأن يكون المنطلق الأول هو شَلّ وظيفة مصر الاقليمية والدولية وانتزاعها لصالح إسرائيل .... والحديث ذو شجون .

تعقيب :

* ولنا تعقيبات على بعض النقاط التي وردت في مقال الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع .

التعقيب الأول : فيما يتعلق بفكر "جابوتنسكي" صـ 33 سادساً مقولته (بأن العالم العربي أكذوبة) .

نقول : * العرب هم مادة الإسلام ، ولا يبغضهم إلا منافق لقوله ﷺ : [بغض العرب نفاق] خرجه الطبراني 146/11 وكان العرب لهم وجود في الجزيرة العربية ، وما وراءها قبل أن يكون لليهود وجود في هذا الكون .

* فإن (هود عليه السلام ، صالح عليه السلام ، وشعيب عليه السلام ، واسماعيل عليه السلام ومحمد ﷺ) أنبياء عرب ، وبعثوا في العرب ، قبل أن تقوم اليهود دولة في " 14 مايو 1948 " على أرض فلسطين المغتصبة .

* كما كان العالم العربي بدينه .. ولغته .. وشعوبه .. جزءاً من دولة الخلافة الإسلامية منذ عهد محمد ﷺ حتي نهاية عهد الدولة العثمانية حينما اطبقت القوي الاستخرابية على العالم الإسلامي واحتل الإنجليز مصر عام 1882 ، واحتلوا فلسطين عام 1918 واحتل الفرنسيون الجزائر وتونس والمغرب وسوريا ، واحتل الإيطاليون طرابلس الغرب 1914 بالتحالف مع روسيا التي احتلت تركستان الغربية ، والقوقاز والقرم طبقاً لاتفاقية (سايكس – بيكو) . لتمزيق العالم العربي ووضعه تحت الاحتلال الأجنبي أي أن الأمة العربية المسلمة لم ينقطع وجودها عن الأرض طيلة قرون ، لا يعلم عددها إلا الله .

* ولم تكن قد ولدت دولة الإحتلال الصهيوني على أرض فلسطين في 14 مايو 1948. هذا الكيان الصهيوني الذي أقامته قوي الاستعمار العالمي بقيادة (انجلترا وفرنسا وأمريكا وروسيا) ، بموافقة وتأييد ما يسمى بالمنظمات الدولية ، بدءاً من عصبة الأمم ، الأمم المتحدة ، مجلس الأمن والنظام العالمي الجديد . بعد إبادة وتشريد الجزء الأكبر من الشعب الفلسطيني ، واغتصاب .. وتهويد أرضه . وبعد ذلك يدعي أنه من نسيج هذه الأمة وجزء لا يتجزأ من كيانها .

* ولكن الذي يحزن القلب هنا أن :

العدو الصهيوني ينظر إلي المعركة التي فرضتها قوى البغي والعدوان على أمتنا ، على أنه صراع عقدي بينها وبين الإسلام ، في الوقت الذي فرض على الأمة أن تنظر إلى هذه الهجمة الشرسة علي ديارها ومقدساتها أنه صراع علي الأرض .. أي على التراب الوطني .

* هذه النظرة القاصرة من القادة والزعماء منذ عام 1918 وحتي الآن ، أدت إلى تنحية عامل النصر الوحيد من مثل هذه المعارك .. وهو الإسلام .

التعقيـــب الثانـــي :

* أما ما يقال من أن الصراع على أرض فلسطين إنما هو صراع بين إسلام متخلف ويهودية متقدمة فاكذوبة .

فالإسلام لم يسمح له أن يدخل المعركة ضد العدوان الصهيوني الاستعماري ، منذ الاحتلال الإنجليزي لفلسطين عام 1918 حتى الآن . إذا استثنينا حركات الجهاد الإسلامي علي أرض فلسطين (عز الدين الأقسام – الإخوان المسلمون – الانتفاضة) بل إن الأمة لم يتح لها الدخول في معركة حقيقية مع اليهود إذا استثنينا العبور المشهود للجيش المصري في رمضان (1393هـ . 1973م) .

* أي أن المعركة تدار من طرف واحد ولم يبدأ الصراع بعد ، ويوم يبدأ ويقوده الإسلام ، فسوف يدرك الصهاينة والمستعمرون خطورة إقدامهم على اغتصاب أرض فلسطين، بيت المقدس (المسجد الأقصى) .

* أما الزعم بأن الإسلام متخلف فهذه اكذوبة ، فالإسلام هو دين الله في الأرض وفي السماء ، الذي أرسل به الرسل جميعاً بداية بنوح ونهاية بخاتم الرسل محمد ﷺ ، ولا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره ، هذا الدين أقام الله به أمماً ، نشرت العدل والأمن والأمان لبني الإنسان في أرجاء الأرض وارتفعت بالإنسان بعقيدتها وعلومها الشرعية والطبيعية وحضارتها التي لا ينكرها إلا جاحد . إن الأمة الإسلامية ظلت تقود العالم بدين الله عز وجل ، وبعلمائها في جميع مجالات الحياة منذ عهد الخلفاء الراشدين ، وعلى عهد الدولة الأموية ،وبني العباس وآل عثمان ، وقد عبر الإسلام إلي أسبانيا والبرتغال ليقيم دولة الأندلس ، التي نعمت وارتقت في ظل الحضارة الإسلامية ، وظلت جامعات قرطبة وغرناطة وأشبيلية قِبْلة أبناء أوربا ليتعلموا ويرتقوا وللأسف بدلا من أن يشكروا نعمة الله عليهم التي جاءتهم علي أيدي المسلمين ، إذا بهم يتنكرون لأمة الإسلام . [شمس الله تسطع على الغرب] تأليف زيغرد هونكه ، ترجمة د. الدسوقي – دار الفكر .

وظلت الحضارة الإسلامية تنير الطريق أمام البشرية وتعبِّد لها الطريق على مدار ثلاثة عشر قرن من الزمان.

حيث كانت أمة الإسلام أقوي قوة دولية في العالم ، بل القوة الوحيدة صاحبة الكلمة المسموعة ، بفضل دينها الإسلامي ونظامها السياسي والعقدي والاقتصادي والاجتماعي والسلوكي والأخلاقي ، وامتدت حدودها السياسية لتشمل تركستان الشرقية (سنكيانج) وتركستان الغربية والقرم والقوقاز وتتاريا والأندلس وأوربا الشرقية وذلك غير الجزيرة العربية ، وشبه جزيرة الأناضول (تركيا) وبلاد الشام والعراق وإيران والشمال الأفريقي ، إن العالم مدين بحياته للعلماء المسلمين الذين برعوا في الهندسة والطب والفيزياء وغيرها من العلوم الكونية . فأين كان اليهود المتقدمون ! طيلة الثلاثة عشر قرن من الزمان ، لقد كانوا من رعايا الدولة الإسلامية ينعمون بالأمن والأمان ، ويتمتعون بحضارة الإسلام الذي استنقذهم من المستنقع الآسن ليرفعهم إلي القمة السامقة ولولا فضل الله والإسلام لظلوا ومعهم أبناء أوربا في جهالة القرون الوسطى .

التعقيب الثالث :

* تحت عنوان نظام القيم الجديدة والسياسة الإسرائيلية صـ39 :

أ – قال "جابوتنسكي" بأن إسرائيل دولة تدافع عن القيم الأصيلة للدين اليهودي .

ب– إن إسرائيل ليست مجرد دولة لتجميع اليهود، ولكنها دولة تحمل راية القيم الدينية اليهودية حول الجزئية (أ) نقول :

* ليست اليهودية دين سماوي ، وأنما اليهودية (بدعة) أي من ابتداعهم، وتفكيرهم، ويمكن الرجوع إلي ما يسمي "الكتاب المقدس" وما كُتب فيه، لكي ندرك أنه (مؤلّف) يعني كلام بشر، ليس للوحي فيه نصيب، وأنهم أصحاب معتقد فاسد. راجع في ذلك . الكتاب المقدس(*) (طبعة ساحة أستور) نيويورك – لندن – 1804 . راجع النسخة الحديثة طبعة عام 1976 لتري الفارق في التأليف !! .

(*) راجع الكتاب المقدس كتب الشريعة الخمسة – دار المشرق – بيروت عام 1987 صفحات 34 , 35 , 46 , 47 وغيرها لترى باعترافهم أن التوراة كلام مؤلّف .

(*) راجع الكتاب المقدس – العهد الجديد – الطبعة الكاثوليكية ط11 – دار المشرق – بيروت عام 1982 مقدمة الطبعة الثامنة لتقرأ اعتراف النصارة –أيضاً– أن الأناجيل كلام مؤلّف .

(*) راجع "قذائف الحق" محمد الغزالي – منشورات المكتبة العصرية – بيروت – صـ19 وما بعدها .

obeikandl.com

*) راجع أيضا كتاب "تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام د. محمد السيد الوكيل . عميد كلية الحديث وأستاذ التاريخ بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ط1 1995 الناشر دار قطر الندي للنشر والتوزيع – الجيزة – القاهرة صـ8 وما بعدها لترى أن اليهود ليس لهم دين أصيل !!

* أما حول الجزئية (ب) نقول :

جابوتنسكي يتحدث عن القيم الصهيونية الأصيلة ..... ولا ندري .

* أين هي القيم ... في أُناس يزعمون أن الله عز وجل يتعب .. ويُصارَع .. ويأكل .. وينسى راجع في ذلك سفر التكوين 34/32 : 39 انجيل مرقس 19/16 .

* أين هي القيم الأصيلة .. لدي أُناس (اليهود) يصورون الأنبياء والرسل علي أنهم زُناة !! ويشربون الخمر !! راجع سفر التكوين 30/19 : 34 وسفر التكوين 9/3 10/3 : 11 ، 34/32 : 39 .

* أين هي القيم ... لمن يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وأن ما عداهم حمير (جويم) راجع سفر المكابين 38/15 .

* أين هي القيم ... في نُصوص دأبوا علي السرقة منذ أبد الآبدين !! راجع سفر الخروج 23/3 , 3/11 , 35/12 : 36 .

* أين هي القيم .. في أُناس (اليهود) يُبررّون لأنفسهم جرائم الغدر، وسفك الدماء، من خلال (الطعن في الأنبياء) في سلوكهم .. وأخلاقياتهم .. ومعتقداتهم .. (لسيدنا داود وسليمان) عليهما السلام .

* أين هي القيم .. التي عند اليهود ؛ حيث أنهم يُصرّون علي اغتصاب الأرض .. والديار .. ويذبحون أهلها، حسب ما أرشدتهم توراتهم، ويزعمون أن هذه الأوامر (مُوحَي) بها من الله إليهم !!

نقول لجابوتنسكي .. وأمثاله .

* هل هذه هي القيم اليهودية الأصيلة ؟

* هل هذا هو السلام الذي يعطيه بنو يهود للعالم ؟

* هل إثارة الفتن بين أبناء الأمة الواحدة، ليقتل بعضهم البعض، هي من القيم الأصيلة ؟ – راجع في ذلك سفر أشعياء النبي (6/59 : 8) حيث يقول : [أعمالهم أعمال اثم، فعل الظلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلي سفك الدماء الذكي، أفكارهم أفكار إثم، في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سُبُلاً معوجة، كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً.] ... هذه هي توراتهم توضح حقيقتهم .. (راجع كتاب عن طريق الخداع والجواسيس غيرالكاملين) .

* هل هذه هي القيم الدينية الأصيلة ؟

بقيت كلمة أخيرة :

يمكن القول بأن الذين تخلفوا هم المسلمون ، وليس الإسلام والتخلف بسبب تنكرهم للدين ، سبب رفعتهم وانتصاراتهم ، وحينما تفيئ الأمة إلي دينها وقرآنها فسوف يدرك حينذاك جابوتنسكي وغيره ، من المتقدم ومن المتخلف .

مصادر المقالة الثانية

- AVINERI, The making of modern zionism, 1981.
- SCHWELD, The land of Israel, 1985.
- GAVRON, Israel after Bejin, 1984. Brenner, The lron wall, 1984.
- RODINSOM, Cult. ghetto and State, 1981.

obeikandl.com